

باق بدمتنا

١٧٥٠ مارس

اقامت الندوة اللبنانيّة في الساعة الخامسة من بعد ظهر أمس جلسة تذكاريّة للمرحوم ميشال شيخاً تكلم فيها عدد من أدباء لبنان وشعرائه ونشر فيما يلي كلمة الاستاذ محبي الدين النصوصي في الجفلة :

الوطن الصغير - لبنان -

روقت يوم ابنت اله استسلام
لـ الـ قـادـ الطـوـيلـ ، وـ شـعـرـتـ انـ لـبنـ

ـ اللهـ بـعـراـ كانـ يـجـبـ الاـ يـنـامـ وـلـكـنـ
ـ مشـيـثـهـ اللهـ كـانـتـ هـىـ الـأـقـوىـ ، فـرـقـدـ
ـ مـيشـالـ شـيـخـاـ لـانـ سـاعـةـ التـوـمـ دـفـتـ،
ـ وـهـوـ لـمـ يـعـتـدـ انـ يـقاـومـ مشـيـثـهـ اللهـ .

Plain Chant

ناـبـضـاـ بـحـكـمـهـ ، حـيـاـ باـفـكـارـهـ ، مـهـدىـ
ـ الـىـ مـنـ شـرـيكـةـ حـيـاتـهـ ، يـحـمـلـ عـبـارـتـهاـ
ـ الرـائـعـةـ اـنـقـلـهـاـ وـاـنـ فـخـورـ بـهـ : «ـ كـانـ
ـ فـيـ نـيـتـهـ اـهـدـاـ هـذـاـ الـكـتـابـ الـيـكـ مـرـ
ـ قـبـلـ انـ «ـ يـرـيـنـ عـلـىـ النـعـاسـ اـجـفـانـهـ »ـ
ـ فـعـاـوـدـنـىـ الـاـمـلـ اـنـ مـيشـالـ شـيـخـالـاـيـزـالـ
ـ بـيـنـنـاـ يـسـدـىـ الـيـنـاـ النـصـحـ ، لـنـاـ اـنـ
ـ نـعـمـلـ بـهـ وـلـنـاـ اـلاـ نـعـمـلـ بـهـ فـالـفـكـرـ
ـ الـعـقـرـىـ يـقـولـ كـلـمـتـهـ ، وـيـتـرـكـ لـكـ
ـ حـرـيـةـ الـاخـذـ بـهـاـ . الـمـ يـكـنـ مـيشـالـ
ـ شـيـخـاـ ذـكـرـ المـفـكـرـ الـعـقـرـىـ لـاـ يـحـمـلـ
ـ مـوـجـدـةـ عـلـىـ مـنـ يـخـالـفـهـ فـيـ الرـأـيـ ،
ـ فـالـرأـيـ عـنـدـ مـقـدـسـ سـوـاـ اـكـانـ يـقـرـهـ
ـ اـمـ لـاـ يـقـرـهـ .

ـ كـانـ يـفـضـلـ اـنـ يـجـتـازـ فـيـ الطـرـيقـ
ـ الصـعـبـ الـذـيـ يـطـلـ مـنـهـ الـمـفـكـرـ فـيـ النـهـاـيـةـ
ـ عـلـىـ الـأـفـقـ الـبـعـيدـ ، عـلـىـ الـاـبـدـ ، فـالـطـرـيقـ
ـ السـهـلـ الـأـيـوـدـىـ الـشـىـءـ يـصـلـ اـنـ يـكـونـ
ـ شـيـئـاـ يـذـكـرـ ، ذـكـرـ اـنـ الطـرـيقـ السـهـلـ
ـ طـرـيقـ السـوـادـ الـأـعـظـمـ ، وـمـيشـالـ شـيـخـاـ
ـ مـنـ الـخـاتـرـيـنـ .

ـ وـكـانـ الـحـقـيـقـةـ غـايـيـهـ يـفـتـشـ عـنـهـاـ
ـ فـيـ الـلـيـلـ وـالـنـهـاـيـهـ ، فـالـجـمـودـ فـيـ الشـكـ،
ـ وـالتـارـجـحـ فـيـ الرـبـيـةـ هـمـاـ بـمـتـابـةـ
ـ الـهـرـبـ فـيـ لـيـلـ دـامـسـ غـابـتـ نـجـومـهـ ،
ـ وـلـكـنـ كـلـماـ كـانـ اـيـمـانـاـ مـتـيـنـاـ اـنـسـاـ
ـ بـالـغـوـ الـحـقـيـقـةـ ، تـفـجـرـ اـلـحـبـ وـتـدـفـقـ ،
ـ وـامـتـزـجـ الـأـيـمـانـ بـالـحـبـ ، فـنـفـوـزـ عـلـىـ
ـ كـلـ شـىـءـ جـتـىـ الـمـوـتـ ، وـنـسـجـ اـنـصـارـاتـ
ـ لـاـ بـالـعـنـفـ ، بـلـ بـقـوةـ الـرـوحـ ، وـبـالـقـدرـةـ
ـ اـيـمـانـاـ اـنـيـ بـالـغـ الـمـحـجـةـ فـيـ خـدـمـةـ هـذـاـ

ـ جـلـسـتـ اـلـيـهـ اـخـرـ مـرـةـ فـيـ دـارـتـهـ
ـ القـائـمـةـ فـوقـ رـبـوـةـ مـنـ دـبـيـ بـيـرـوـتـ
ـ يـكـسوـهـ الشـجـرـ ، وـيـبـسـمـ فـيـهـ الـزـهـرـ
ـ وـتـنـظـلـ عـلـىـ هـذـاـ الـبـحـرـ الـذـيـ اـحـبـ
ـ وـمـلـاـ حـبـهـ قـلـبـهـ الـكـبـيرـ ، وـكـانـ السـكـونـ
ـ يـعـمـنـ ، وـالـطـمـانـيـةـ تـلـفـنـاـ ، وـكـانـ هـادـئـاـ
ـ عـلـىـ عـادـتـهـ يـصـغـىـ اـكـثـرـ مـنـهـ يـتـكـلمـ ،
ـ وـيـفـكـرـ وـيـطـيلـ التـفـكـيرـ ، وـكـانـ عـيـنـاهـ
ـ تـلـمعـانـ وـرـاءـ نـظـارـتـيـهـ وـكـانـهـمـ قـبـسـ مـنـ
ـ نـورـ اللـهـ ، وـكـانـ وـجـهـ تـمـثـلـ فـوـقـ
ـ قـسـمـاتـهـ السـكـينـةـ ، وـمـاـ هـوـ اـجـملـ مـنـ
ـ السـكـينـةـ ، الرـضـىـ بـالـطـفـ مـعـانـيـهـ ، وـاحـلـ
ـ صـورـهـ وـكـانـ حـدـيـشـاـ هـمـسـاـ يـكـادـ لـاـ
ـ يـسـمـعـ ، فـالـرـجـلـ الـذـيـ اـسـاقـطـهـ الـحـدـيـثـ
ـ لـاـ يـحـبـ التـحدـثـ بـالـصـوتـ الـمـرـتفـعـ ،
ـ فـالـصـوتـ الـمـرـتفـعـ يـمـجـهـ الـمـفـكـرونـ اـمـتـالـهـ
ـ الـذـيـنـ اـرـقـهـمـ الـدـرـسـ الطـوـيلـ ، وـالـبـحـثـ
ـ الـعـمـيقـ ، وـالـخـلـوـةـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ اـنـفـسـهـمـ ،
ـ وـبـيـنـهـمـ وـبـيـنـ الـكـتـابـ ، وـالـقـعـودـسـاعـاتـ
ـ وـنـهـارـاتـ وـلـيـلـاـيـ معـ الـطـبـيـعـةـ الـلـبـانـيـةـ
ـ الـفـتـانـةـ يـنـاجـيـهـ وـتـنـاجـيـهـ ، فـيـتـفـاعـلـ
ـ جـمـالـهـ مـعـ جـمـالـ نـفـسـهـ ، وـيـرـىـ مـنـ
ـ خـلـالـهـ اللـهـ الـذـيـ خـلـقـ كـلـ شـىـءـ فـاـحـسـنـ
ـ خـلـقـهـ ، فـاـذاـ هـوـ رـجـلـ مـنـ رـجـالـ الـفـكـرـ
ـ يـمـشـيـ عـلـىـ الـأـرـضـ هـوـنـاـ وـاـذاـ خـاطـبـهـ
ـ الـجـاهـلـوـنـ قـالـ سـلـامـاـ .

ـ جـلـسـتـ اـلـىـ مـيشـالـ شـيـخـاـ قـبـلـ اـنـ
ـ يـنـامـ نـوـمـتـهـ الـأـخـرـيـةـ بـاـيـامـ قـلـلـ، وـافـضـيـتـ
ـ اـلـيـهـ بـمـاـ فـيـ نـفـسـهـ ، وـلـمـ اـخـفـ عـلـيـهـ
ـ الـعـبـ ، التـقـيلـ الـذـيـ اـكـادـ اـنـوـ بـهـ وـاـنـاـ
ـ اـتـسـلـمـ تـبـعـاتـ وـزـارـةـ الـمـالـيـةـ ، فـسـلـطـ
ـ اـضـواـءـ حـكـمـتـهـ عـلـىـ هـذـاـ الـطـالـبـ
ـ الـمـسـتـطـلـعـ الـذـيـ جـاءـ يـسـعـيـ اـلـيـهـ يـفـتـشـ
ـ عـنـ الـحـكـمـ ، فـاـحـسـ عـنـ تـهـاـيـةـ الـلـقـاءـ ،
ـ وـكـانـ لـقـاؤـنـاـ الـلـقـاءـ الـأـخـرـ ، بـاـنـ الـعـبـ
ـ الـتـقـيلـ الـذـيـ يـحـمـلـ تـضـاءـلـ وـتـضـاءـلـ
ـ لـيـصـبـحـ هـبـاءـ ، فـاـذاـ بـيـ وـاـنـاـ اوـدـعـهـ
ـ اـزـهـيـ شـبـابـاـ ، وـاـخـفـ حـرـكةـ وـاـشـدـ
ـ اـيـمـانـاـ اـنـيـ بـالـغـ الـمـحـجـةـ فـيـ خـدـمـةـ هـذـاـ

(تستمئننا) باق بيتنا ...

الحسنة .

ولبنان اوجده الله روابي وذروات
لتنشد فوقها الحقيقة وصفاء الذهن
الذى يساعد على اكتشاف الحقيقة ،
فمن فوق الجبل تبدو لنا الافاق مدينة
ويبدو البحر وسيرا ، فيلازمنا الاعتدال
والاعتدال صفة لبنانية ، ويلازمنا
الحب ، والحب هو المعين الذى يجنب
ان يرده اللبنانيون .

وعشت معه فى كتابه الاخير الذى
رأه مقالات تنشر فى جريدة « ليجور »
منذ عام ١٩٤٦ حتى نهاية عام ١٩٥٣ ،
ورأينا كتابا يضم الفكر ، الفكر البناء
الرقيق ، فإذا قلبه الكبير الذى توقف
عن الخلقان نلمسه فى اغاني هـ
الوجود الرائعة وفي موسيقى الذكرى
المسجمة .

عشت معه ، فى جوه ، وفتوى
الذروات التى كان يحبها . ويحب ان
يفكر فوقها لايهمه ان كانت السماء
صافية الاديم ، او كانت ملبدة بالغيوم ،
فالهم ان تنتهر انفسنا ، وان تتضىء
على اجنحة الملائكة نحو السموات العلى ،
نحو الحقيقة التى تحررنا ، والتى مهما
تنظر ، ونحن نشهد لها ، فلها البقاء
ولها الخلود .

حياتنا ما هي حياتنا سوى انطلاق
جديد فى كل يوم لا يدرى احدنا
ما اذا كان سيلقى الاخر ، فإذا بنا
عندما يتخطف الموت صديقا عزيزا
عليها ، تمور الذكريات فى صدورنا
فجأة فتتجلى امامنا الحياة بعثها
وعبتنا ، ويواجهنا الموت بيده القاسية ،
فيسقط القناع عن ابصارنا ، وإذا
طيبات هذه الحياة وكنوزها هباء ، وإذا
الدنيا متاع الغرور .

والراحلون سواء انعدنا غيا بهم ام
لم نتعود فانهم على الرغم من هذا وذاك
يرحلون ، الربيع يعود ، وشقاوقي
النعمان تفتح والخقول مهما تكون
متواضعة ترخر بالازهار ، وفي هذه
الاثناء تغادرنا وجوه حبيبة ، والانسانية
تتجدد لانه محظوظ على الانسانية ان
تجمد ، فمسيرها هو هذا التجدد
المستمر .

لكل رحلة تقصير او تطويل فترة
وداع ولكن الوداع الاخير يفاجئك فلا
يسمح لك حتى ان تتمم بكلمات
الوداع .

واذا لم يتع لنا ان نودع ميشال
شيخا الوداع الاخير فلان ميشال
شيخا لم يرحل عنا الا بجسده وان
اقضل ما فيه روحه وفكره وهما
لا يزالان ينبعان بالحياة وسيغلبان كما
حلم هنا فى انشودة الانهائية .